جامعة تكريت

كلية التربية للعلوم الإنسانية

قسم اللغة العربية

مرحلة الدكتوراه/ لغة

معاني الأبنية

أثر الوظيفة التواصلية في اختيار صيغة بعينها

أ.د. خولة محمود فيصل

تداولية اختيار الصيغ الصرفية ودقته

يتناسب الاستعمال الراقي للبنيات اللغوية أثناء التواصل مع المقام وسياق الحديث ، ويراعي كل ما له علاقة بالإنسان كطبيعة النفس البشرية ، والعادات والتقاليد ، والتاريخ والحضارة والدين ، وما توصل إليه العلم من حقائق كونية وعلمية ، وهذا ما وجدناه ماثلا في استعمال الصيغ الصرفية العربية.

1- توجيه المقام لاختيار الصيغة.

المقام عنصر أساسي في تشكيل عناصر الكلام واختيار مفرداته وترتيبها ؛ فهو الذي يستدعي المفردة دون الأخرى ، لترتبط بعنصر دون آخر في ظروف خاصة لأداء الوظيفة المقصودة من الكلام ، وبهذا الاستدعاء تتحقق تداولية المفردة أو الصيغة وتأثيرها في المتلقي ويتحقق الإقناع .

ومن مظاهر الاهتمام بدور المقام في تحديد وظائف الصيغ ما يتردد كثيرا عند المفسرين ، ويراعونه ويجعلونه شرطا على المفسر أن يتقنه ، وهو علم أسباب النزول الذي بدوره يحدد مقام نزول الآية وظروف نزولها ، وعلى هدي منه يزول إشكال التفريق بين دلالات الألفاظ وبخاصة المتشابه منها ، « وكيف أنّ ما احتواه منها من مفردات إنّما جاءت مطابقة لمقتضى الحال. فعندما يرد في آية فعل" نزّل" (على وزن فعّل) وفي آية أخرى يرد فعل " أنزل" (على وزن أفعل) نجد من المفسرين من يبين السبب في هذا الاختيار. ويربط كل ذلك بمقامه وسبب نزوله ، وقد يضطر إليهما اضطرارا.

2- مناسبة وظائف الصيغ المختارة للسياق:

ومثل المقام سياق الكلام ؛ يكون المُحْدَث من الكلام فيه والتالي مبنيا على الأول ومنسجما معه ؛ فالصيغة أو العبارة لا توضع بمعزل عما سبقها من كلام ، بل تُختار متسقة ومنسجمة مع ما يفرضه السياق الذي ترد فيه ليتحقق الهدف من وجودها والتبليغ المنشود بها .

ومن تناسب سياق الكلام مع الصيغ حذف المفعول به في سياق عبارات متتالية مراعاة للفواصل وخدمة للوظيفة التواصلية ، من ذلك قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ يجِدْكَ يَتِيمًا فَئَاوَى * وَوَجَدَكَ ضَالًا فَهَدَى* وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى ﴾ (الضحى 6-8) في هذه الآيات يرى أكثر المفسرين أن حذف المفعول كان مراعاة لفواصل الآيات وللعلم به ؛ أي: (فآواك) (فهداك) (فأغناك). ومنهم من يرى أنّ الحذف كان للتوسّع في المعنى إضافة إلى مراعاة الفواصل « والمراد أنه آواك وآوى لك وآوى بك خلقا كثيرين ، وأنه هداك وهدى لك وهدى بك خلقا كثيرين ، وأنّه أغناك وأغنى لك وبك. وهذه المعاني كلها مطلوبة. »

3- نقل الصيغ لحضارة الإنسان و تاريخه وتقاليده :

كثير من العبارات والصيغ والألفاظ اختيرت واستعملت في حضارات دون أخرى وعند أقوام دون آخرين ، وهنا نذكر شيئا من ذلك على سبيل التمثيل: دِينِ الْمَلِكِ : قال تعالى: ﴿ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَتٍ مِّن نَّشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ) (يوسف: 76) لم يقل شريعة الملك وإنما قال دينه والمقصود العقوبة المصرية القاسية ؛ كون الملك هذا يحكم بإرادته الفردية ، ولم يكن له وحي أو شرع يلتزم به .

إن اختيار لفظ الملك دون لفظ فرعون في الآية السابقة إشارة إلى ما كان شائعا عند المصريين القدامى ؛ حيث كانوا يسمون الملك المصري الأصل" فرعون" والملك غير المصري الأصل كانوا يسمونه" الملك" ، « وأنّ الذي كان يحكم مصر في زمن يوسف عليه السلام- غير مصري ، وهو من الهكسوس فسماه

الملك ، وأنّ الذي كان يحكمها في زمن موسى- عليه السلام- هو مصري فسماه فرعون ، فسمى كل واحد بما كان يُسمى في الأزمنة السحيقة. ».

4- مطابقة استعمال الصيغ للحقائق العلمية والكونية:

من النصوص التي توضح تناسب بناء الصيغ الصرفية مع المُشاهد في الكون وفي مخلوقات الله ما نجده في استعمال اسم الفاعل والفعل المضارع كل في موضع الآية الكريمة: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ ﴾ (الملك: 19). حيث اختير التعبير باسم الفاعل في اللفظة الأولى (صافات) ، وكان يمكن التعبير عنها بغير اسم الفاعل كالفعل المضارع (يصففن). واختير التعبير في اللفظة الثانية بالفعل المضارع (ويقبضن) وكان يمكن التعبير عنها بغير الفعل المضارع كاسم الفاعل (قابضات) مثل الأولى ؛ ولكن الآية قد اختارت كل واحد في موضعه لوظيفة تواصلية تتناسب مع خلقة الطير وكيفية طيرانه ؛ وذلك بالصف شبه الدائم لأجنحته والقبض الطارئ لها أثناء الطيران ؛ فعبّر عن الدائم باسم الفاعل ، وعبّر عن الحادث الطارئ بالفعل المضارع. قال الزمخشري: « فإن قلت لم قيل: ويقبضن ، ولم يقل: قابضات ؟ قلت: لأن الأصل في الطيران هو صف الأجنحة ؛ لأنّ الطيران في الهواء كالسباحة في الماء ، والأصل في السباحة مد الأطراف وبسطها. وأما القبض فطارئ على البسط للاستظهار به على التحرك فجيء بما هو طارئ غير أصل بلفظ الفعل على معنى صافات ويكون منهن القبض تارة كما يكون من السابح. »

نماذج من اختيار الصيغ الصرفية

1- اختيار المفرد

من أمثلة اختيار الاسم المفرد بدل الجمع لوظيفة تواصلية أو لوظائف ما يأتي:- كلمة (نَهَر): اختارت الآية الكريمة التعبير بالاسم المفرد (نهر بدل أنهار) في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّتٍ وَنَهَرٍ) (القمر: 54) مع أن الجنات قبله جمع ، بخلاف المواضع الأخرى من القرآن الكريم ، فإنه إذا الجنة جمع جمع النهر نحو: ﴿جَنَّتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَرُ﴾ (ال عمران: 15) وذلك والله أعلم أنه في لفظ (النهر): عدة معان منها:

أن (النهر) اسم جنس بمعنى الأنهار وهو بمعنى الجمع ، وقد يؤتى بالواحد للدلالة على الجمع والكثرة ومنه قوله-صلى الله عليه وسلم-: « أهلك الناس الدينار والدرهمُ ». ومنها أنّ من معاني (النهر) السعة .

ومنها أنّ من معاني (النهر) الضياء. جاء في (لسان العرب) « وأما قوله عز وجل: ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّتٍ وَنَهَرٍ ﴾ (القمر: 54) فقد يجوز أن يعني السعة والضياء وأن يعني به النهر الذي هو مجرى الماء على وضع الواحد موضع الجميع... وقيل في قوله تعالى: ﴿ فِي جَنَّتٍ وَنَهَرٍ ﴾ أي في ضياء وسعة لأن الجنّة ليس فيها ليل إنما هو نور يتلألأ. » ولو وردت بصيغة الجمع (أنهار) لكان لها معنى واحد وهو مجرى الماء ، فاختيار المفرد كان أكثر وظيفية.

2- اختيار الجمع

كثيرا ما تدعو الوظيفة التواصلية إلى استعمال الجمع بدل المفرد ، ومثال ذلك: - اختيار الجمع على صيغة (فعلى وفَعَالى) فمثال ذلك: (عَطاشى) لمن استحكم فيهم العطش ، و (يَتامى لمن يكابدون قساوة بسبب يُتمهم ؛ قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ

سَعِيرًا (النساء: 10) تدلّ صيغة الجمع (يتامى) هنا على أنّ هؤلاء اليتامى قاصرون قد لا يوجد من يحمي حقهـم ومالهم ؛ ولهذا يحذر من يأكل ما لهم ظلما ويعده بالسعير ؛ « فجمعه على اليتــامي لتشنيع فعلة الآكل ، فهؤلاء يتامى مهضومون أثر عليهم اليتم حتى أصبح بلية نازلة عليهم ، فكيف يسوغ أكل مالهم ظلما؟

3- تنوع العدد المختار بحسب الوظيفة

قد يتنوع اختيار العدد في صيغ العبارة الواحدة بحسب توجيه الوظيفة التواصلية كما في الآية القرآنية الآتية : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ وقال بعد ذلك: ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴾ (المؤمنون (9) ذكر الصلاة في بداية السورة بصيغة المفرد حديثه عن الخشوع في جنس الصلاة ، ثم ذكرها بصيغة الجمع للإشارة إلى أنّ الصلاة أنواع يُفلح المحافظ عليها جميعا. جاء في" الكشاف": «... فقد وحّدت أولا ليفاد الخشوع في جنس الصلاة ، أي صلاة كانت ، وجمعت آخرا لتفاد المحافظة على أعدادها وهي: الصلوات الخمسة والوتر والسنن المرتبة على كل صلاة ، وصلاة الجمعة والعيدين والجنازة والاستسقاء والكسوف والخسوف ، وصلاة الضحى والتهجد وصلاة التسبيح وصلاة الحاجة ، وغيرها من النوافل.

4- اختيار المصدر

اختيار مصدر بعينه لوظيفة خاصة: يُختار المصدر للتواصل والتعبير عن الأغراض ، لما يُختص به ومن ذلك اختيار المصدر بحسب وزنه ومن هذه الأوزان:

اختيار وزن" فعلان":

من دقة الاختيار أن يُستعمل المصدر مختاراً بناء على وزن دون آخر خدمـــة لما يبتغيه المتكلم به من وظيفة أو وظائف ؛ ومثله استعمال وزن" فَعَلان" في الآية الكريمة: ((وَمَا هَذِهِ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ)) (العنكبوت (64). فقد اختار كلمة" الحيــوان"! على وزن: فَعَلان ليقصد بها حياة الآخرة مقابلا لـ" الحياة" وهي حياة الدنيا. للتعبير عن معنى المبالغة في الحركة كدليل على الحياة ؛ فأهم ما يميز الحى الحركة. وفيه إقرار الكمال ؛ فالحياة الآخرة هي الحياة الباقية وحياة الخلود. قـال الزمخشري: « وفي بناء الحيوان زيادة المعنى ليس في بناء الحياة وهي ما في بناء فعلان من معنى الحركة والاضطراب كالنَّزَوان والنَّغَصان واللَّهَبان وما أشبه ذلك. والحياة حركة ، أما أنّ الموت سكون فمجيئه على بناء دال على معنى الحركة مبالغة في معنى الحياة ، ولذلك اختيرت على الحياة في هذا الموضع المقتضى للمبالغة. »[1].